رحيل الفنان الدكتور صاحب نعمة

المقال الأخير للفنان صاحب نعمة

إشكالية اللغة في الدراما العراقية

د. صاحب نعمة

اعتمد (العرب) منذ (الجاهلية) في التعبير عن فصاحتهم وبلاغتهم اللغوية، وصياغة الصور الشعرية التي تمتلئ بها قصائدهم، على فن (الإلقاء)، ولعل سبب ذلك يعود إلى أنهم لم يعتمدوا (التدوين) في بادئ امرهم قدر اعتمادهم على (حافظتهم) التي تلازمت مع المطلوب حسب مقتضيات الحال، حتى نزول الوحي وظهور (القرآن الكريم) بوصفه جماعاً لعبقريتهم في اللفظة والمعنى.

وبفضله - أي القرآن الكريم - استطاعت اللغة العربية أن تحافظ على قوانين (النطق) سليمة - فصيحة، وهو ما حصن اللغة وانقذها من إنحراف الألسن، والعجمة والاندثار. لقد أوصى القرآن الكريم إلى قرائه ودارسه بقواعد النطق الجيد السليم، فتمت بها الصورة اللغوية العربية شكلاً ونطقاً، ذلك من خلال تأكيد النبي محمد (ص) على جماليات الإلقاء في دعوته (زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا)، لذلك نجد أن العرب لم يقصروا من الإلقاء على توضيح الكلمات حسب، إنما على منحها بعداً جمالياً يتناغم وجمالية الحرف العربي وموسيقاه. فقد سأل محمد بن بشر أعرابياً: ما الجمال؟ قال: (طول القامة، عظم الهامة، وسعة الشدق وبعد الصوت). وهذا ما يعطي انطباعاً بأن يكون (الإلقاء) بمثابة (المعادل الموضوعي) لمعطيات اللغة العربية المتجلية في القيم الفكرية والعاطفية والجمالية، عندما يتفرد الملقي بدرايته بالمفردات وداخلها واصولها لإدراك الظاهر والمستتر منها، وكما اصطلح عليه العرب - بـ (الحقيقة والمجال) وكما يصفها الجاحظ: (لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك). تاسيساً على ما تقدم، ومن أجل أن يرتقي الممثل بمهنته لمستوى (الأدب) الذي يمثله، لا يحتاج إلى موهبة إبداعية حسب، إنما يحتاج إلى وجود لغة أدبية مطواعة زاخرة بالألفاظ السهلة النطق والبليغة الوقع، والمحددة المعنى، والمحتفظة بالجدة. والذي يحسب أن اللغة ما هي إلا وظيفة لنقل المعنى من دون أن تكون لها أهمية في (ذاتها) يقع في خطا كبير، فالمعنى الحي العميق الصادق يموت، إذا لم يبرزه تعبير حي وجميل، ويخطئ أيضاً من يظن أن لغة الكتابة (للدراما) ولغة الكلام الاعتيادي الحياتي المتداول سواء. لأن اللغة التي تكتب بها الأعمال الدرامية مشذبة من الألفاظ (المبتذلة والمبذولة) وحريصة على انتقاء الألفاظ للشخصية وللمعنى المراد إيصالها للمتلقي. وما يلاحظ في (درامتنا المحلية) شيوع اللهجة المحلية في أسوأ أحوالها لكثرة مفردات الحديث الساذج فيها والحشود والتكرار خصوصاً في مناداة الشخصيات باسماء بعضها لبعضها الآخر، لذا، تظل تلف وتدور في حلقة مفرغة لا تنمو بتسلسل منطقي باتجاه فكرة ما، إنما تتداخل في متاهات الكلام المجرد. إن متطلبات الكتابة بلغة درامية تقتضي إلى جانب امتيازها بالحيوية إن تكون قابلة للتمثيل، بمعنى ان الكلمات هنا تكتب لتمثل: ترى وتسمع، وبعكسه ستكون محدودة الأثر، بمعنى أنها (محدودة القيمة الدرامية). عليه لابد من ان تحتوي لغة الحوار مجموعة من القوانين في مقدمتها (نمط الأصوات - درجتها - ارتفاعاتها) لتمنح الممثل إمكانية سماع النغمة الصوتية. ومن قوانينها الأخرى: أحتواء الحوار الارتفاعات الحركية التي تصاحب العواطف والتي تفرض أن يقرا الحوار ويسمع وكأنه (نوتة) درامية. والتي تفرض بدورها على الكاتب ان يجنح دائماً إلى (الانتظام والانسجام والتجانس) في الكلمات كي ينتج تنغيماً خاصاً يساعد على تحديد المعنى. وفي هذا الاتجاه، يصف الناقد (ارك بنتلي) عفوية العلاقة بين الفعل والكلمات عند الكاتب النرويجي (ابسن) بقوله: (الفعل الابسني هو من الشمول والطغيان بحيث لا يكاد الأشخاص يجدون متسعاً لكلمة يقولونها. لا تقال الكلمات إلا عندما ينتزعها الموقف انتزاعاً). ويحرص (برنارد شو) على أن تتزامن الموسيقى الصوتية مع البناء المنطقي للجملة. إن الدراما الجيدة هي التي تكون فيها اللغة (وظيفة دلالية) تنبع من التعبير الحركي وتتصل به اتصالاً عضوياً، بمعنى أن يكون هناك توازن ما بين (اللغة والفعل) من أجل أن تأتي دلالة المفردات بمستوى عمق الفعل ودقته، عندها تكون اللغة (راقية) وخالية من السرد، والإفاضة، والتطويل، وتكون مطابقة لما قالته العرب: (إن خير الكلام ما قل ودل) وكما اصطلح عليه (بيراندييللو) بـ(الفعل المحكي) وبهذا يتحتم على (الدرامي) أن يجد الكلمة التي تتحرك، التعبير الفذ الذي لا يمكن أن يكون إلا ما هو، كلمات وتعابير لم تخترع، إنما تولد بفعل تقمص المؤلف الشخصية التي يخلقها ويحسها كما لو كان راغباً بها كما ترغب هي بنفسها. وترتبط إشكالية اللغة في الدراما العراقية بـ(الممثل) أيضاً، إذ نجد الغالبية منهم محدودي الثقافة، وهذا جانب مهم إذ ترفد الثقافة الممثل القدرة على النطق السليم بلا معوقات في (التشكيل اللغوي) أو (الصرفي) للكلمة. إضافة إلى اختيار النبر الصوتي الملائم للكلمة والذي يكاد يكون هو وليس غيره. إن على الممثل - وهذا ما ينقصنا - أن يعي أهمية الكلمة في تحريك انفعال المتلقي، ولكن البعض - للأسف - لم يتعود على الإلقاء السليم للغة العربية، فهو ينطقها وكأنه غريب عنها، فهو (يلحن) اللغة العربية ويمسخها بلكنة محلية فيجردها من حيويتها الموسيقية، لأنه ينشغل بالجانب الصوتي والشعوري على حساب المعنى. مجمل القول: إن الجملة أو بيت الشعر في الدراما هو أولاً وقبل كل شيء حالة يتحتم أن يصل إليها كل من (المؤلف) و(الممثل) بحساسية جمالية، معرفية تتطلب من المؤلف رسمها بدرجة (الكمال) نفسها الذي يفترض أن يكون عليه الممثل.

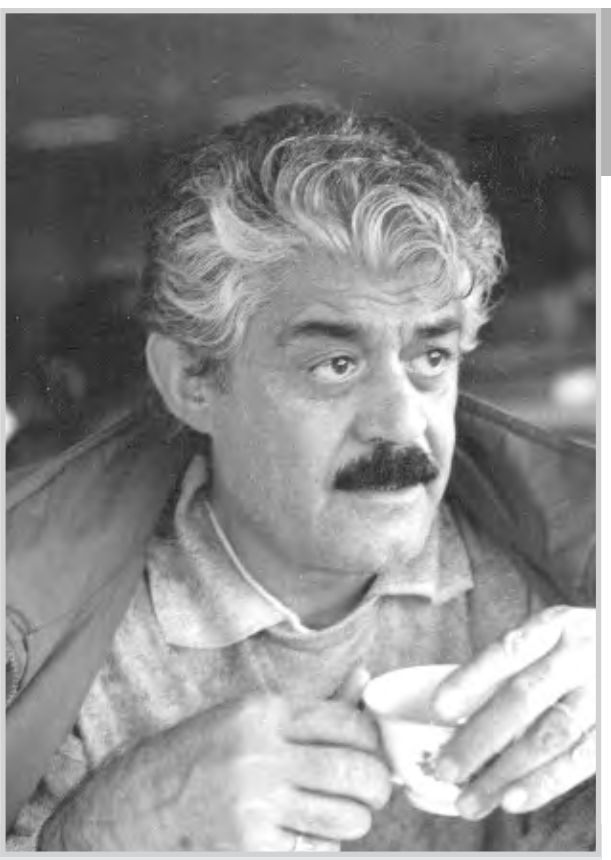

الراحل في سطور

- مواليد الاسكندرية - بابل ١٩٥١
- متزوج وله ولدان هما (مؤنس ومؤمن)
- بكلوريوس فنون مسرحية ١٩٧٣
- ماجستير فنون مسرحية ١٩٨٧ عن رسالته (فن الممثل في العراق)
- دكتوراه علوم مسرحية ١٩٩٢ عن رسالته الموسومة (مفهوم السينوغرافيا في العرض المسرحي).
- عضو وممثل ومخرج في الفرقة القومية للتمثيل منذ العام ١٩٧٣ .
- له أكثر من مئة عمل فني في مجالات المسرح والتلفزيون من بينها (روميو وجوليت، طير السعد، مكبث) وغيرها.
- آخر عمل تلفزيوني مثل قبل أشهر هو (سبع عيون) مع المخرج أركان جهاد وسيعرض قريباً.
- أستاذ في قسم التربية الفنية وباحث أكاديمي.
- له العديد من البحوث والكتابات النقدية والمقالات.
- توفي في ٢٠٠٥/٧/٨ أثر نوبة قلبية داهمته في المسبح الأولمبي ببغداد.

شاي عراقي

شذى سالم

الفنان الدكتور صاحب نعمة يحب الشاي العراقي، وكأي عراقي اصيل لا يستطعم إلا نكهة الشاي العراقي التي (تكعد الراس) كما يقول، وكان الشاي همه الأساس. في سفرتنا الأخيرة إلى الجزائر، كان يطلب الشاي، لكن يأتيه شاي "ليبتون" في الأكياس الصغيرة التي لا ترضي الفنان الراحل فيطلب المزيد ليضعها في إناء الشاي، ولكنه عندما يرتشفه ينظر إلي قائلاً: (ابداً مو تمام، هذا وين، وهذاك وين).

وكنا في سجال دائم على موضوع الشاي الذي أصبح مشكلته الأساس في هذه السفرة، حتى أنه بدأ يصرخ.. (يا ناس أريد جاي عراقي).

يالله يا أبا مؤنس، العراق في شايك وفي مائك وفي هوائك، وفي ولديك مؤنس ومؤمن، وفي روحك الفتية العالية، وفي تاريخ فنك الجميل، وفي عطائك الفني والإنساني، وفي ضحكتك المجلجلة المتميزة، أنه العراق الذي فقد أحد أبنائه البارين، مثلما يفقد يومياً دماءً زكية عراقية طاهرة.. أنه العراق يا أبا مؤنس..

وداعاً يا صاحبي

د. حسين علي هارف

الآن فقط أدركت أن قبلاتك لي يوم ٣ تموز الماضي كانت قبلات وداع.. لأنك كنت قد قررت الرحيل فعلام العجلة يا صاحبي.. هل ضقت ذرعاً بنا؟ أم بما حولنا من فوضى وتخبط واحتراب.. وموت مجاني بات يهدد الجميع؟ كنت أشعر بسخطك وغضبك على ما حل بنا وعلى من يحاولون العبث بأمننا ومقدراتنا.. نحن الناس البسطاء الذين نعشق وطننا ومدينتنا وناسنا.

في سفرتك الأخيرة إلى بولندا.. وبعد عودتك كنت تروي لي ما شاهدت من جمال ورفاهية وسلام وكنت حزينا على بغداد التي غاب عنها الجمال والسلام، وكعادتك كنت تعبر عن حزنك وسخطك بطريقتك (المجلجلة) حين تصب اللعنات على من كان السبب وعلى السبب الآن؟. وكعادتك كنت تقول رأيك بوضوح وشجاعة وعلانية من دون خوف.. او وجل - او خشية من احد، غير آبه بالمتربصين والحاقدين واصحاب العقد والأمراض.

وكنت تكره، بل تمقت الطائفية والداعين لها والمصابين بها وتلعنهم.. وهذا ما زاد من حبي لك واحترامي لروحك وعقليتك ووطنيتك التي جسدتها بمسؤولية حين توليت مسؤولية رئاسة قسم التربية الفنية في أدق مراحلها. بعد سقوط النظام المباد. حين لم يكن قسم التربية الفنية سوى مجرد ركام وأنقاض وبقايا بناية خربة وخاوية فعملت على جمع شمل أسرة القسم أساتذة وطلبة وتجاوز خلافات الماضي وموروثاته وكنت حائلاً دون وقوع التقاطعات والاحترابات (متعددة الدوافع).

وشيئاً فشيئاً نجحت (معنا) في بناء القسم وإعادة الحياة إليه وعاد قسم التربية الفنية كما كان معقلاً للعلم والفن والتربية. حتى مسرحنا التعليمي (المهدد بالسقوط) عملت على ان يعود بهياً مؤثثاً وعامراً، وهاهو الآن يحمل أسمك - كما قررنا - لأنه لا يزال يردد صدى ضحكاتك المدوية ومحاضراتك الساخنة ونكاتك الأكثر سخونة ومحاضراتك الحافلة والمميزة التي أحبها طلبتك.

عذراً يا صاحبي.

فالكل يسأل عنك، ولا املك الإجابة... والكل يذكرني بك ولا استطيع الفرار..

قبل ساعات استطعنا أنا وصديقنا المفضل خالد أحمد مصطفى أن نستجمع كل شجاعتنا وندخل غرفتك في قسم التربية الفنية ونحاور أشياءك الصغيرة ولوحاتك المفضلة ومكثنا طويلاً لعلك تفاجئنا بحضورك ولم نحظ إلا بصدى ضحكاتك، عندها قررنا أن نجلس صباح كل يوم في مسرح (صاحب نعمة) التعليمي فلعلك تأتي في عرض مسرحي.

لم العجلة.. يا أبا مؤنس؟

خالد أحمد مصطفى
مدرس / كلية الفنون الجميلة

تريث يا صاحب.. فما زال عندنا الكثير الذي ينتظرنا، غافلتنا يوم الجمعة ٢٠٠٥/٧/٨ ساعة الصلاة، بينما بقيت ضحكاتك تجلجل في ذاكرتنا المفعمة بالذكريات الجميلة، وبصمت وارينك التراب وعدنا نلملم بقاياك وشذرات أمانٍ بسيطة والدهشة فينا تسأل: هل رحل صاحب نعمة؟!

كان يحمل في جعبته الكثير ليقدمه برغم إحساسه بالألم والمرارة لأن الكثيرين من اصدقائه (الفنانين) خذلوه، ولطيبته فضل السكوت والعمل مع طلبته في قسم التربية الفنية وبهدوء أحب صاحب العراق كما لم يحب شيئاً آخر، وتعلق بنخيله ومقاهيه وصالات الأدب فيه، لذا فضل البقاء ليخدم الجميع مترفعاً عن أي منصب أو شهرة، منتظرا ذلك اليوم الذي يعود فيه العراق قبلة أولى للثقافة والأدب والفنون، فأعلن عن مشاريعه القادمة وهو يدرك بأن التعب قد أخذ منه وهو يصارع أمراض (الضغط والذبحة الصدرية)، ظل يسخر من الموت بضحكته المعهودة ويعمل جاهداً غير مبال بأي نتيجة، أعلن أنه سيخرج مسرحية (مس جوليا) ضمن نتاجات كلية الفنون الجميلة للعام الدراسي القادم، وأنه سيؤدي دوراً مهماً في مسلسل (مناوي باشا) الجزء الثالث مع المخرج أركان جهاد (لا تزال نصوصه على منضدته في بيته) وأنه سيستمر بالإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها في مجالات المسرح والتربية والجمال وانه سيستمر في مساعدة الآخرين وتوزيع (ضحكاته) على اصدقائه.

إلا أنه لملم أشياءه في حقيبته ولم يودعنا حتى، رحل وهو مفعم بحب الناس والحياة والفن الذي كان يحمله اينما ذهب، وبقيت ابتسامتك في سماء الروح تتلو معنا الصلوات وتترحم علينا. إنا لله وإنا إليه راجعون.

طائر فضي اسمه صاحب

د. يوسف رشيد

بالأمس وبعد أن أغلقت ستارة المأتم، وجدتك تخرج مع الناس.. كأن المأتم لم يكن مأتمك، وكأن الموت لم يكن مشهدك، كان بين الناس وجهك.. في عيون الحاضرين.

كلهم قالوا سلاماً للندى والثلج ثم صفقوا بدموعهم.. هذه اول مرة ينتهي العرض بتصفيق العيون.

ايها الصداح يا صاحب.. أيها الضحك الطفولي الجميل أيها الينا أنت، يا ماذا أسميك، فأنت الفوضوي في إطار الانتظام مذ عرفناك، وفي السبعين عقداً ينتهي وبعنف وجنون.. كان حبك.. والدراسات وأعمال كثيرة.. أيها الملح الذي ينساب في جرح السنين.. كنت يا عيني عنوداً في الق.. ومثابرا.. كان فيك التوق يصدح مثل صوتك.. مثل ضحكتك الأثيرة.

هكذا مرت سنين العمر يا صاحب، في طقوس ومراسيم، تنافس ونجاح، ودراسة، وطموح يملأ الدنيا.. (ولكن كل شيء بقضاء) ايها الممتد من وجع الجنوب إلى المسارح والنقاشات الحزينة. وإلى مقعدك الأستاذ بين الطلبة وصديق الناس في كل المحبة.. وشريك عصبي عاطفي مثل عاصفة لها قلب الطفولة، ومزاجي كما النرجس في دور على عرش البطولة.

إنه مشهدك الآن، ولا أخفيك قد كان عنيفاً.. لم يكن مشهداً من (سيدرا) ولا (مكبث) ولا.. إنما مشهد صاحب يقرع الباب على الموت بأيد خشبية وبإصرار يموت.. تاركاً للناس ان يختلفوا. لم يكن يومك يا صاحبنا.. أيها الفضي ما زلت جميلاً بيننا.. ايها المازلت تمشي بيننا.. هل صحيح نحن شيعناك؟ ام أنت الذي شيعتنا!

صاحب نعمة صديقي الذي اكلته الضحكات

علي حسين

الان امسك القلم واكتب عن صاحب نعمة.. استجمع شجاعتي.. والملم ذكرياتي.. وأتظاهر بالتماسك وانا احاول متاخرا تقديم التحية لهذا الفنان الطيب القلب والاخلاق.. هذا الفنان الذي يشير الينا اليوم باصابع الاتهام الى النكران وحصار المواهب واغتيال التفوق.

الكتابة عن صاحب نعمة تاجلت سنوات طويلة.. كنت لااعرف سبب التجاهل وكان هو لايشتكي من تجاهلي هذا وانا الذي كتبت عن ممثلين اقل منه موهبة وحرفة.. اليوم استميح صديقي صاحب الضحكة المتميزة بان اكتب عنه ليس رثاء.. وانما تحية لفنان لم تسلط الاضواء عليه بما يليق بموهبته.

صاحب نعمة ممثل من جيل اكتوى بنار الموهبة وعرف ان التمثيل الذي لايصدر عن القلب ويخترق القلب وينظم حركة الانسان في حياته ويثقف وجدانه وعقله ويغير في تكوين المشاهد النفسي.. ويشكل حركة الحياة ليس بالتمثيل، وكل هذه الاشياء غير مفهومة لبعض ممثلي الزمن الحاضر.. ربما لايعرف البعض عن صاحب نعمة سوى انه ممثل لادوار قليلة في التلفزيون واستاذ جامعي تفرغ لتقديم خبرته لطلابه.. لكنه اكبر من ذلك بكثير واهم من ذلك بكثير.. يكفي انه كان احد نجوم الفرقة القومية للتمثيل في عصرها الذهبي وتركها باختياره لانه اكتشف مهنة جديدة اسمها التعليم..

ومنذ اللحظة الاولى التي شاهدت فيها صاحب نعمة يمثل على خشبة المسرح في اكاديمية الفنون الجميلة وانا محتار في تبيين حدود الطاقة الداخلية لهذا الممثل الموهوب والذي كان يعكسها في اداء شديد التلقائية والصعوبة في ان واحد.. ولكنه اداء منساب ورائق ياتي من منابع موهبة ودراسة عميقة للشخصية التي يؤديها. هو اداء لانستطيع ان نقوم بوضعه بمربع من مربعات اصول التمثيل سواء كانت عند ستانسلافسكي او ابرشت او جروتوفسكي..في الوقت الذي لا نستطيع فيه ان نقول انه اداء لايلتزم بقاعدة معرفية وبدارسة مستفيضة لعمل الممثل.. صيغة في التمثيل اخترعها صاحب نعمة لنفسه.. ولم تكن وليدة صدفة.. وانما وليدة احساس متدفق عني بان يدرسه ويفحصه.. ومن ثم يعلمه لتلامذته.

كان التمثيل بالنسبة له صدى صوت يتردد داخل نفسه ويطالبه بان يبتعد عن تكرار ما يقدمه الاخرون، كيف لا وهو واحد من جيل جواد الاسدي وعقيل مهدي وفاضل خليل وفاضل السوداني وعبد الجبار كاظم.. جيل تمرد على القواعد وحطم المالوف، جيل لم يهدأ ولم يستقر، جيل اتسم بالتجديد الى جانب العمق، جيل جبل على الصبر والتواضع والمعرفة، لكنه بالمقابل جيل الزهو الذاتي هذا الزهو الذي منحهم الثقة ودفعهم لتحدي ماسبق واستقر في وجدان وتراث عمالقة كبار جاؤا قبلهم امثال ابراهيم جلال وجاسم العبودي، وسامي عبد الحميد وبدري حسون فريد، وجعفر السعدي. ولكنه ايضا جيل تربى على احترام الكبار ومعاملتهم كرموز تصل احيانا الى حد التقديس، وربما كان هو الجيل الوحيد الذي ما زال يكتب ويتذكر دروس معلميه الاوائل فها هو جواد الاسدي يتذكر ابراهم جلال وفاضل خليل يكيل المديح لجاسم العبودي وعقيل مهدي يكتب انشودة عن جعفر السعدي، وصاحب نعمة الذي كتب يوما: (حادثان مهمان صقلا موهبتي الفنية: دراستي المعمقة لكتاب اعداد الممثل لستانسلافسكي وتتلمذي على يد استاذي القدير سامي عبد الحميد).

كنت اراقب صاحب نعمه في هيروستراتس.. ويوميات الحرب والعديد من اعمال الفرقة القومية للتمثيل.. وماكبث ولكنني ساتوقف امام مشهد واحد من عشرات المشاهد التي مثلها صاحب نعمة على المسرح وهو مشهد في مسرحية مكبث التي قدمها المبدع صلاح القصب في باحة قسم الفنون المسرحية في الكسرة، حيث يقف هذا الممثل امام السيدة مكبث التي ادتها عواطف نعيم. وكان صلاح القصب يصر على تقديم مسرحية لاتنتمي الى تقاليد شكسبير في الاداء.. ولانه قام بحذف العديد من الحوارات واستبدلها بصور مذهلة.. ولانه اولا واخيرا لم يكن يعنيه التعبير الداخلي للممثل بقدر عنايته بالصور التي تلتقطها عين المشاهد وتستقر في وجدانه. لكن الممثل داخل صاحب نعمة كان اكبر من ان يرضخ لمطلب مثل هذا فقد قرر ان يؤدي مشهدا مثيرا هو مشهد الحرائق.. حيث ينظر الى الحريق بعينين تتفجران زهوا لنراه يرفع يده متبخترا في تعبير للوجه يدلل على بشاعة هذه الشخصية. ولم يكن هذا الاداء صدفه لانه يحتاج الى تكثيف شعوري كبير جدا في حيز زمني لايسمح صلاح القصب بان يكون طويلا.. ومن دون استخدام اداه تعبير كالصوت ليساند او يدعم فقط التعبير الصامت او الاحساس الداخلي. كان على صاحب نعمة ان يصل بمستوى ادائه الى درجة الاتقان ثم لايمكن ان يكون هذا الاداء صدفة لان المسرحية قدمت لاكثر من يوم وبنفس الحيوية والتالق ولهذا كان صاحب نعمة الممثل يعرف ماذا يريد ان يواصل خلال هذا المشهد فقد كان همه ان يحمل هذا المشهد بثوانيه القصيرة شحنة شعورية ضخمة في مستوى حوار لم يقل حذفه صلاح القصب لضرورات اخراجية..

هكذا كان صاحب نعمة يفهم التمثيل وهكذا كتب يوما لي وانا ارسل اليه سؤالا ضمن استفتاء كنت اجريته للعديد من الممثلين حول تعريفة الممثل سواء في المسرح ام التلفزيون وكان الجواب قاطعا:

(سواء كان التمثيل للمسرح ام التلفزيون فانه نوع من تقديم صوره الشخصية المنغمسة في سلسلة افعال وظروف وضعها المؤلف ونقلها الممثل الى المشاهد.. ان هدف الممثل هو نقل صورة لشخص يمكن ان يوجد في الواقع دون اللجوء الى تفسيرات نمطية.. يحاول الممثل عبر الأستخدام الخلاق الاصيل للتفاصيل السلوكية ان ينقل للمشاهد تفهما اعمق لاوجه الشخصية الانسانية المتعددة دوافعها.. ومع الاعتذار الشديد لكل هواة التسطيح والفهلوة في التمثيل اسال كم ممثلاً يختزل مثل هذا المعنى لفن التمثيل.

صاحب نعمة وجيله كانوا ولايزالون شهداء يمشون على الارض سلاحهم الصمت والمعرفة والحب.. وفي احيان كثيرة الضحك. هذا الضحك الذي كان سمه اساسية من سمات شخصية صاحب نعمة فهو ممثل فرحان بما يبدع.. والضحكة لم تفارق شخصيته في احلك الازمات حتى انني قلت له يوما احذر يا صاحب فلربما تموت من الضحك قال هل تدري اني احيانا اشعر باختناق من الضحك؟ ولانه كتلة من الاحاسيس فقد اثر الضحك على قلبه فاصابه بازمات طارئة.. كان اخرها ان فاجاته وهو يضحك سعيدا ملء قلبه لكن الضحكة هذه المرة لم تكتمل.. فقد قررت ان تاكل صاحبها.. صاحب الرجل الذي كان يشبه نفسه لانه كان بحق تعبيرا عن جيله.

صاحب نعمة.. زهور على قبره الأبيض

كاظم النصار

ثمة كاريزمات أبدية آخر برامج تفكيرها الرحيل إلى الظلمات تسخر من الموت تدفعه بالضحك والشقاوة وتدفعه بالمعرفة بالسرور وربما بالجنون.. لا أحد يصدق ان يموت صاحب نعمة هذا الجسد الجبار وهذه القدرة على الاحتمال والقدرة على التكيف والمزاج الصعب وهو باكتشافه سر الموت اندفع باتجاهين، باتجاه الكوميديا السوداء وباتجاه المعرفة. نعم هو ممثل مفكر ولديه احلام إخراجية حداثية ثم هو يمتلك قدرة نقدية مشاكسة ومنحازة إلى أحدث ما أنتجته المنصات العالمية.

نشعر بالخسارة لفقدانه حيويته وصراحته التي نتحملها لأنها صراحة العارف والمحب. واليوم نتذكره وهو يتحرك بحيوية في آخر مشاركاته مع صديقه الأثير المخرج جواد الأسدي في مسرحية (نساء في الحرب) وحماسته لكل ما هو جديد. انه أنيق مهتم بشكله وملبسه من دون ان يغفل انحيازه للمعرفة للشعر وللرواية وللفكر حتى السياسي منه كيف لا وهو الأستاذ الجامعي المرموق والمحترم والذي يناقش أطاريح جامعية بروح الباحث والفنان معاً.

اتذكره بهذا العمل وكيف أنه كان حمامة السلام التي تحرص على تذليل كل الصعب والمعوقات التي كانت تكتنف فكرة أن نعمل معاً بفريقين مختلفين. اتذكره كيف جاء يبحث عني في المقهى تاركاً مسؤوليته في قسم التربية الفنية برؤية مختلفة.

اليوم وأنا أهم باستشارته كالعادة يتوقف قلبه هذه المضخة الهائلة للحياة والحيوية وللمحبة تتوقف، لا احد يصدق أن هذا الذي يضحك كالأطفال يمكن ان يموت.. اليوم وانا أهم بالعمل على المسرحية ذاتها التي اجلها (صاحب) سأضع زهوراً على قبره وعلى روحه في كل تجليات إبداعية مقترحة كان سيفرح بها ويهلل. فالمبدع تفرحه لحظة الاكتشاف هذه اللحظة التي ترد على قوة الموت وسرمديته رحل صاحب نعمة لكنه خلف لنا مزيداً من المحبة ومزيداً من التعليقات المعرفية ومزيداً من السجايا الاثيرة والانيقة ومزيداً من الثقة بالفنان الذي لا ينكسر في زمن ومناخ جبارين وهو الذي التصق ببلاده حتى آخر لحظة من حياته من اجل الأمل والعائلة والمنصة، عزاؤنا إنه معنا بضحكته وروحه المرحة وسخريته وحزنه الدفين الذي كان يخفيه فكارزماه أبدية آمل من كلية الفنون الجميلة أن تطلق اسمه المبدع على آخر قاعة تمرن بها ونزف عرقاً مبدعاً وتخلده إنه يستحق كل هذا كما يستحق العناية بعائلته التي قدمته لنا على مذبح الإبداع باحثاً وأستاذاً وممثلاً وناقداً وإنساناً رائعاً.

ألرحمة له وباقات زهور على قبره.